

## بنية المحادثة ومكوناتها الأساسية

أ. عليك كايسة

جامعة بجاية

**تقديم:** لقد أدى الاهتمام بالتواصل اللغوي (وغير اللغوي) إلى العناية أكثر بالجانب التفاعلي الذي تحققه التبادلات الفعلية بين المشاركين في عملية التواصل حيث اعتنت الدراسات اللغوية، في الأعوام الأخيرة، بالمنطوقات وبنيتها والقدرات التواصلية لمستعملي اللغة، وبالجوانب التداولية لهذا الاستعمال، إذ تركز التداولية، في تحليلها للمنطوقات، على توضيح الأفعال اللغوية التي تؤديها تلك المنطوقات، كما اعتنت علوم كثيرة بتحليل المحادثات، باعتبار هذه الأخيرة أهم أشكال التواصل، بل هي كما يعتبرها فان دايك، الشكل الوحيد للتفاعل الحقيقي وهذا ما يقتضي، حسب هذا العالم، عدم التركيز في تحليل المحادثات على بنية النص فحسب، بل نعتي أيضا بمستوى التفاعل الاجتماعي الذي يعدّ المفهوم الأعلى "لتخصيص" المحادثة اليومية، والاهتمام بسمات التفاعل الاجتماعي على مستوى التواصل المباشر، وجها لوجه، بين الأفراد. ومن هنا، فقد زالت الحواجز القائمة بين النص والمحادثة، وأصبحت هذه الأخيرة موضوع اهتمام كثير من الباحثين.

ويعتبر فرع "تحليل المحادثات (Analyse des conversations)" موضع النقاء عدة حقول معرفية: كتحليل الخطاب، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وعلم اللغة الاجتماعي، والإثنوميتودولوجيا، والتداولية، ولسانيات النص، وهي علامة تفتح اللسانيات على مواضيع دراسات لا تبقى محتجزة في إطار جامد<sup>1</sup>، إذ قرر

كلّ من ساكس (Sacks) وشكلوف (Scheglof) وجفرسون (Jeffersson) وإدي رولي (E. Roulet) وموشلر (Moechler) وغيرهم، تحديد موضوع دراستهم في أبرز أنظمة التبادل اللغوية التي يشارك فيها أعضاء الجماعة وهي المحادثات.

### 1 - مفهوم المحادثة (la conversation): المحادثة على صيغة "المفاعلة"

في اللغة العربية، تمثّل تفاعلا كلاميا، يشترط فيها «تحقق الفعل اللغوي المقصود من جميع المحادثين والمداخلين، فيكون كلّ طرف (فاعلا ومفعولا به) في الآن نفسه»<sup>2</sup>، وهي تواصل شفوي تتوزّع فيه أدوار الكلام، ويتمّ فيه تجاذب أطراف الحديث بين طرفين أو أكثر يتبادلون الكلام.

ويرجع اهتمام الباحثين بتحليل المحادثات إلى كون المحادثة «تُصور شكل التفاعل اللغوي تصويرا رائعا؛ شكلا يتفاعل من خلاله المشاركون في الفعل في سياق محدد تفاعلا مباشرا، ومن ثمّ يجرون نشاطا منظما تعاونيا»<sup>3</sup>، هذا بالإضافة إلى كون المحادثات هي الشكل الأصلي للنشاط اللغوي، وتؤدي وظيفة صانع النموذج والموجه لكل الأشكال الأخرى للنشاط اللغوي.

تُعتبر المحادثة تفاعلا لفظيا، نفترض وجود مشاركين على الأقل، ووجود أيضا مساهمة (أو عدة مساهمات) من قبلهما. وللمحادثة مظهر حوارِي، فهي تتناقض مع الخطاب المنولوجي من حيث عدد المشاركين وإسهاماتهم. والمحادثة هي، في الآن نفسه، تفاعل لفظي وخطاب حوارِي وحوار<sup>4</sup>. فنجد جاك موشلير، في دراسته للمحادثة وأساليب تحليلها<sup>5</sup>، يدافع (خلال فصل كامل) عن فرضية مهمة مفادها أنّ المحادثة معرضة لمتطلبات على مستويات مختلفة (التفاعلي، البنوي، التسلسلي) للتبادلات التي تشكّلها، وأنّ وجود التفاعل بين هذه المتطلبات هو المسؤول عن بنية المحادثة وليس فقط تغيّر وتنوّع مواقف هذه الأخيرة.

ويؤكد فان دايك في أبحاثه<sup>6</sup> أنّ الحديث هو الشكل الوحيد للتفاعل الفعلي، ويتقدّم على أشكال أخرى للكلام، وعلى أشكال الاتصال الكتابي. ويعد منه أيضا الحوار

— سؤال — إجابة بين معلم وتلميذ أو كتابة / قراءة الرسائل أو المقابلة أو المناقشة أو الاجتماع أو أشكال التفاعل المختلفة في مصنع أو مصلحة أو مكتب أو إدارة البلدية أو أمام القاضي.

وتستعمل المحادثة، حسب د. مونقانو، «للدلالة على نوع الخطاب الشفوي: تبادل الكلام بين أناس متساوين في المنزلة نسبياً، حيث يكون التداول على الكلام حراً والموضوعات قليلة الإكراه نسبياً، فالمشاركون الذين يمكنهم أن يكونوا أكثر من اثنين، هم قريبون في الزمان والمكان وبينهم علاقات ألفة وأنس، إنّ الحديث بيدي وكأنه خال من أية غاية نفعية»<sup>7</sup>، ومن السمات الأساسية لهذا النشاط التفاعل. ويميّز "فان دايك" بين الحديث والمحادثة<sup>8</sup> (الذان يُستعملان في الغالب بشكل مترادف)، يرى أنّ المحادثة وحدة تفاعل اجتماعية تتكون من سلسلة متشعبة من أحداث (لغوية)، وتحدد ارتباطاً بالسياق الاجتماعي. في حين يعدّ الحديث تجريداً لغوياً أو نظرياً نصياً، كالوحدة النصية التي تتشكل في سلسلة منتظمة من المنطوقات التي تتجلى في المحادثة. وتكون المصطلحات مثل الترابط والتتابع خواص للحديث، أما مصطلح الحوار فهو أعم، يتعلق بالحديث، بالمحادثة، وبأشكال أخرى للتفاعل اللغوي، كالحوار بين القضاة ومدعى عليهم، ولا يتعلق الأمر في الحوار بالتفاعل الأحادي.

**2 - سمات المحادثة:** تتميز المحادثة بكونها نتيجة نشاط لغوي بين مشاركين اثنين على الأقل (شركاء التفاعل)، وهذا ما يساعد على تحديد الفرق بين المحادثة والنص، حسب فيهقجر، وذلك على أساس عدد المتكلمين/ السامعين المشاركين، أي شركاء التفاعل من البداية، حيث إنّ النص ينتجه واحد، وإن كان المتكلم أو منتج النص جماعة<sup>9</sup>. كما ينبغي، حسب المؤلف ذاته<sup>10</sup>، أن يتوفر في المحادثة شرط تناوب الأدوار بين المتكلمين، حيث إنّ عدد المشاركين في الفعل ضروري، لكنه غير كاف. فإذا توقف المتكلمان عن الحديث بعد ما كانا متفاعلين، وذلك من أجل

التركيز مثلا على عمل ما، فتسيطر على نشاطهم الأفعال غير اللغوية، أما الأفعال اللغوية فهي تصاحب فقط نشاطهم، وهذه الحال لا تتناسب مع الميزة (وهو معيار أيضا) المذكورة سلفا، فهي ليست محادثة. هذا بالإضافة إلى الحالة التي يكون فيها الطرف الأول عندما يتحدث لدقائق عديدة والطرف الثاني يبقى صامتا، فهذا لا يمكن الكلام عن المحادثة. وأيضا إذا تمّ تسجيل مشاركين في الفعل، ثمّ تمّ تسجيل النص الناشئ خلال أنشطة لغوية فقط، فإنّه لا يمكن الكلام عن المحادثة في هذه الحال. بمعنى أنّ شرط تناوب الأدوار ضروريّ لتحقيق نشاط المحادثة.

وإلى جانب الميزة التي تنص على ضرورة وجود على الأقل مشاركين في فعل المحادثة، ينبغي توفّر سمة أخرى وهي تناوب إجباري للأدوار بين المتكلمين وكذلك موضوع المحادثة الذي يقع في بؤرة الانتباه الإدراكي للمشاركين في الفعل. ويعتبر فإن دايك الأدوار وحدات أساسية وظيفية مميّزة للمحادثة، تترابط تلك الأدوار لتظهر في شكل تتابعات المنطوق والفعل الكلامي لمتحدثين متتاليين على مستويات مختلفة<sup>11</sup>، إذ يتابع المتكلمون أدوارا معيّنة تنتظم أفقيا وزمنيا، فلا يمكن إنتاج المنطوقات في الوقت نفسه، بل هناك تتابع الأدوار، ولكل دور تال متحدث آخر. وهذه السمات هي، في نظر فيهقجر، موضوعية جدا، في حين يذكر سمتين أخريين، لكنهما غير موضوعيتين في نظره، وهما: كون المحادثة واقعة التواصل الأساسية في التواصل المباشر (أي المكان والزمان في التواصل وجهها لوجه)، إذ يعتبر شرطي المكان ووجهها لوجه غير جوهريين، لأنّ هناك وسائل تقنية كالتليفون والتلفزيون، قد لا توفّر هذه المتغيرات.

يصل المؤلف إلى أنّ تناوب المتكلمين مبدأ تنظيم عالمي للمحادثات، إذ ينبغي أن يسوق المشاركون في الحدث التواصلية إسهامات بشكل أو آخر في تتابع أفقي (خطي).

وتختلف المحادثة، حسب فان دايك، عن بقية أشكال التواصل، في معايير نظامية: **تركيبية ووظيفية**. فلا توجد بالنسبة للحديث قيود تصنيفية للمشاركين، إذ كل مستخدم للغة يمكن أن يشترك وسيشترك في مواقف محددة باطراد في أحاديث. كما لا توجد قيود **مضمونية** ثابتة، حيث ابتداءً يمكن أن يدور حديث حول أي موضوع برغم من أنه توجد بالنسبة لأحاديث معينة قيود دلالية محددة. وقليلًا ما توجد قيود **تداولية**، إذ يمكن مع أحاديث ما أن تتوالى. وفي النهاية لا توجد قيود خاصة بالسياق الاجتماعي، حيث في أغلب السياقات يمكن أن تجري أحاديث. ومن هنا يصل فان دايك إلى أنّ الحديث هو الشكل الأساس للتداول وضبط أبنية اجتماعية في التفاعل على المستوى الأصغر<sup>12</sup> (أي العلاقات المباشرة بين المتكلمين).

إنّ الخواص المذكورة تنطبق على الحديث اليومي والتي تجري في سياقات غير رسمية بين مشاركين متساويين، في الشارع، في الحافلة، في المطعم،... الخ. لكن هناك أحاديث أكثر خصوصية، مثل: الحديث الطبي، والمؤسساتي، والاختبار والدرس، والبيع، والإذاعة والتلفزيون... الخ، والتي تستلزم قيود فئات المشاركين والأفعال الكلامية الممكنة، والمضامين والأسلوب والسياقات الاجتماعية، إذ يكتسب مصطلح الحديث هنا، كما يقول فان دايك<sup>13</sup>، المعنى الأعم للحوار (المنطوق)، ففي هذه الحالات يكون الحديث مخططًا، إذ تدور هذه الأحاديث في مكان معيّن، وفي سياق / إطار اجتماعي معيّن، وتدور حول موضوع معيّن، يوجد مشاركون لهم الوظيفة/ الدور، وخاصية ومهنية... ويلتزمون بموضوع الحديث، ويثيرون أفعالاً لغوية معينة... الخ. وعليه، فإنّ هذه الأحاديث يمكن تمييزها بناء على معايير: فئة المشاركين، وعلاقتهم المتبادلة، وموضوع الحديث، والسياق،... الخ. نصل إلى أنّ من أبرز سمات المحادثة تبادل الأدوار فيها، وهذه الأدوار تتجه في تتابع خطي أفقي، والدور هو ما يقوله المتحدث أثناء إسهامه في التفاعل.

### 3 - مكونات المحادثة: حاول المتخصصون في تحليل المحادثات أن يحددوا

المكونات الأساسية للمحادثة، وقد اختلف هؤلاء في حصر هذه المكونات، إذ نجد إدي رولي (E. Roulet) وفريقه في كتاب\* أُصدر لهم (سنة 1987)، وباك موشلر (J. Moeschler) في أبحاثه التي أنجزها (سنة 1985)، والتي نشرها أيضا (سنة 1996)\*\*، يحرصون هذه المكونات في ثلاثة عناصر، هي: التبادل والتدخل والفعل الكلامي، إذ يرى موشلر أنّ تحديد نموذج تسلسلي ووظيفي للمحادثة يفترض على الأقل شيئين: أولا أنه يمكن تحليل محادثة ما بواسطة نظام من وحدات ذات نسق تتابعي؛ ثانيا أنّ العلاقات التي تربط بين هذه الوحدات ذات طبيعة وظيفية.

كما يرى موشلر أنّ فكرة وحدات النسق التتبعي معروفة في اللسانيات ومعتمدة في التحليل النحوي للجملة، وفكرة التحليل الوظيفي أيضا غير مستبعدة في التحليل النحوي. أي أنّ فكرة النموذج التتبعي والوظيفي للمحادثة ليس جديدا من وجهة نظر النظرية اللسانية، لكن الجديد هو التعريف بوحدات النسق التخاطبي وبمختلف العلاقات الوظيفية والتداولية بين هذه الوحدات.

أما بالنسبة لـ ك. أوركيني (K. Orecchioni)<sup>14</sup> فإنّ الوحدات الأكثر تلاءما لوصف تنظيم المحادثات تتمثل، حسبها، في: التفاعل، التبادل، المتوالية، التدخل وأفعال الكلام. فيشكل كلّ من التفاعل والتبادل والمتوالية وحدات الحوار، أما التدخل وأفعال الكلام فهي وحدات مكونة للمونولوج (أحادي الكلام).

تتناسق الأفعال الكلامية (les actes de langues) لتشكل تدخلات (interventions)، هذه الأفعال والتدخلات ينتجها المتكلم ذاته وبمفرده؛ وبمجرد أن يتدخل متكلمان على الأقل، فإنّ المسألة سوف تتعلق بالتبادل (échange)؛ ثمّ تتناسق التبادلات لتشكل متواليات (séquences)؛ هذه الأخيرة تتناسق لتشكل تفاعلات (interactions)، وتشكل هذه التفاعلات وحدات عليا

(unités maximales) للتحليل<sup>15</sup>. ويعرّف هؤلاء الباحثون المكونات السابقة كما يلي:

\* **التفاعل (interaction):** التفاعل هو صورة من صور التواصل، وهو ذلك التأثير المتبادل بين المشاركين في عملية التحدّث، وتعرّفه أوركيوني بأنّه «الوحدة التواصلية التي تمثّل استمرارية داخلية مؤكّدة (استمرارية الجماعية المشاركة والإطار الزمني والمكاني، إضافة إلى المواضيع المقترحة) بينما تكون مقطوعة عمّا سبقها وما يليها»<sup>16</sup>. ويعتبر التفاعل الوحدة الكبرى في تتابع المحادثة، يتألّف من متواليات، ويتشكّل عبر ثلاث مراحل متتالية: الافتتاح، الموضوع، والاختتام. وتُعتبر المرحلة الأولى والثانية مرحلتين مهمّتين لإدراك مدى تحقيق المشاركين في المحادثة لبنيات تفاعلية.

\* **المتوالية (séquence):** تعرّف أوركيوني المتوالية بأنّها كتلة من التبادلات تربطها درجة قوية من الانسجام الدلالي والتداولي، أي تعالج الموضوع ذاته وتركز على المهمة نفسها. وتذهب المؤلفة إلى أنّ معظم التفاعلات تجري حسب المخطط العام، وهو كالتالي: — متوالية الافتتاح؛ — هيكل التفاعل؛ — متوالية الاختتام.

وتحمل متواليات **الافتتاح والاختتام** وظائف خاصة (فمن أجل الافتتاح ينبغي إحداث تماس نفسي وفيزيائي بين المتخاطبين "وظيفة انتباهية")، باعتماد بعض الطقوس "التأكيدية" (كعبارات التحية، أو إظهار تصرفات ودّية، والسرور الذي نشعر به بسبب ذلك اللقاء...); أمّا **الاختتام**، فإنّه من الضروري الإعلان وتنظيم بكيفية متناغمة نهاية اللقاء، مع استخدام بعض التعابير (مثل: تقديم اعتذار وتبرير الذهاب، تقديم تشكرات، تحيات الافتراق، تمنيات، ...).

\* **التبادل:** التبادل، حسب موشر، هو أصغر وحدة حوارية مكوّنة للتفاعل. وباعتبار أنّ التبادل يتركّب على الأقل من إسهامين تبادليين (حسب أدوار الكلام)

لمتكلمين مختلفين، فهو إذن مكون معقد. والتبادل الذي لا يتضمّن إلاّ دورين تبادليين هو تبادل أدنى<sup>17</sup>. ويميّز قوفمان (Goffman 1973) بين نوعين أساسيين من التبادلات<sup>18</sup> (وهذا عند توضيحه بنية التبادل)، وهما:

أ - تبادلات تأكيدية (confirmatifs) وهي الملائمة لتبادلات الافتتاح والاختتام، وتتكوّن من تدخلات وظيفتها ذات طبيعة تعبيرية مثل التحيات. كما في (1 و 2) فيما يلي:

(1) أ - السلام عليكم!                      ب - عليكم السلام!

(2) أ - كيف حالك؟                              ب - شكرا. وأنت؟

هذا النوع من التبادل ذو بنية بسيطة، وثنائي في الغالب. وفي الواقع، يُختتم التبادل عن طريق تبني المخاطب سلوكا مشابها لسلوك المتحدث الأول، ومرتبطا بممارسة طقوسية. فالطبيعة الطقوسية للتبادل التأكيدية توضّحها من جهة وظيفتها - تأكيد وجود علاقة اجتماعية بين الأفراد - ومن جهة أخرى الظروف التي يُنتج فيها التبادل: فهو ينتمي إلى طقوس التحية وردّ التحية عن طريق إلقاء السلام (أي إثبات التقاهم الإيجابي، يؤكّده تدخل المخاطب)، وليس الردّ الحرفي، مثلا، على طلب معلومات عن الوضع الصحي.

ب - إلى جانب التبادلات التأكيدية، يميّز قوفمان أيضا نوعا آخر من التبادلات الطقوسية، وهي تبادلات إصلاحية (réparateurs). وتقوم فكرة التبادل الإصلاحي أو النشاط الإصلاحي على مبدأ إصلاح إهانة غير متعمّدة: مثلا: (أ) ركل رجل (ب) عن غير قصد

(أ): أعتذر منك.

(ب): لا تقلق.

أي فكرة الاعتذار حسب قوفمان، تسمح لـ (أ) بإصلاح الإهانة التي كان مصدرها تصرّفه الخاطئ.



\* **التدخل**: هي أكبر وحدة أحادية الكلام (مونولوجية) مكونة للتبادل. والتدخل ينتجه متكلم واحد ونفسه؛ فهو بالتالي إسهام متكلم خاص في تبادل خاص، ولا ينبغي، كما تقول أوركويوني الخلط بينه وبين دور الكلام، كما يظهر في بداية المحادثة مثل:

1 – "السلام عليكم ! 2 – عليكم السلام! / 3 – هل أنت بخير؟

4 – بخير. / وأنت؟ 5 – لا بأس... / أين تجري هكذا؟ 6 – إلى السينما.

فهذه الأدوار الكلامية الستة تتكون من أربع تبادلات، هي:

– (1) و(2): هو تبادل التحية، وهو تطابقي، ومتكوّن من تدخلين؛

– (3) وبداية (4): هو تبادل تكاملي سؤال – جواب؛

– نهاية (4) وبداية (5): سؤال – جواب؛

– نهاية(5) و(6) سؤال – جواب<sup>19</sup>.

ويتكوّن كل تدخل، مبدئياً، من أفعال الكلام، لكنه يمكن أن يُصغّر إلى فعل كلامي واحد. منه يميّز موشلر بين التدخل المعقد (وهو الذي يتكوّن من أكثر من فعل كلامي واحد)، والتدخل البسيط<sup>20</sup>. كما أنّ الأفعال الكلامية التي يتكوّن منها التدخل ليست كلّها متعادلة وظيفياً: إذ يمكن تمييز، في التفاعل الذي يتكوّن من عدة أفعال كلامية، أفعالاً موجهة (acte directeur) وهي التي تمنح التفاعل قيمته التداولية المهيمنة)، وفعلًا أو عدة أفعال تابعة (subordonné(s))، مثل الاعتذار أو تبرير<sup>21</sup>، وهي تخدم الفعل الموجه.

\* **الفعل الكلامي (acte de langage)**: هي أصغر وحدة أحادية الكلام

(مونولوجية) مكونة للتدخل<sup>22</sup>، تؤدي غرضاً تواصلياً، وهي مثل: أسمى، أعد أتعهّد، أرفض، أعلن، أعتذر، أهنيء، أعلن افتتاح الجلسة،... الخ، حيث يُعبر المتكلم من خلال هذه الأفعال عن مقاصده، وتؤدي هذه الأفعال وظائف اجتماعية مختلفة (كالاعتذار، والاعتراض، والقبول، والوعد، والتعزية، والتهنئة... الخ). ويرى

موشر<sup>23</sup> أنّ مسألة تحديد عدد أفعال الكلام في كلّ تدخل (فعل واحد أو أكثر) هي مسألة تجريبية أكثر من كونها نظرية.

وهكذا، فإنّ مهمة تحليل المحادثات تكمن في بداية الأمر في تقطيع المحادثة إلى مكوناتها، أي إلى وحداتها الاندراجية المنتظمة في شكل طبقات، بعضها يكون بعضاً، أو بعضها يندرج في بعض.

**4 - بنية المحادثة:** تركز بعض الدراسات في تحليل بنية المحادثات على سلاسل التفاعل اللفظي، ويركز البعض الآخر على وصف التنظيم العام للمحادثة. ونجد مدرسة جنيف، تحت تأثير إدي رولي، تقترح نظرة تدريجية (hiérarchique) للمحادثة. فالوحدات اللغوية، حسب إ. رولي، لا تحمل دلالة في ذاتها، بل تتحدد معانيها من خلال الأنشطة التي تسمح بإنجازها<sup>24</sup>. ويصف الباحثون<sup>25</sup> المحادثة الأساسية بأنّها تبادل ذو ثلاث تدخلات متتالية، حيث يتولّد التفاعل عن سؤال أو مشكلة تتطلب حلاً، إذ يشكّل التدخل الأول مبادرة، والثاني ردّاً فعل، ويشكّل الثالث تقويماً. وإذا كان التقويم ملائماً وتحقق اتفاق بين المشاركين، أُختتم التبادل، ويمكن بدء تبادل آخر. وانطلاقاً مما سبق، فإنّ المحادثات الأكثر تعقيداً تتمّ على أساس هذه القواعد المتكررة مرات عديدة، وعلى أساس التفاوض بين المشاركين.

وتتنظم المحادثة على مستويين أساسيين، هما:

**أ - البنية العامة (الكبرى والعلوية):** يميّز الباحثون في المحادثة بين أبنية كبرى (أي أبنية كلية دلالية)، وأبنية عليا (أبنية عامة هيكلية). ويقصد هنا بالبنية العليا بنية المحادثة ككل، أي وحدات تحليل أكبر. ويميّر الباحثون في البنية العليا للمحادثة في الغالب بين افتتاح المحادثة، وعرضها، واختتامها. ويذهب فان دايك في هذا الصدد إلى أنّ المحادثة في بنيتها العليا تستند إلى تتابعات أفعال الكلام يقول: «وهكذا، فإنّ المحادثة العادية تتألف غالباً من الفئات التالية: "التحيات

المدخل إلى موضوع المحادثة، موضوع المحادثة، إغلاق لموضوع المحادثة، بداية إغلاق المحادثة، الإغلاق الفعلي، التحيات»<sup>26</sup>. أمّا الافتتاح، فيشتمل على الأفعال التالية:

« — التحية والتكلم عن هدف إقامة التواصل؛

— تحديد المشاركين في المحادثة، وكذلك العلاقات بينهم؛

— تفهّم مقاصد المتكلمين الأساسية؛

— تفهّم مخططات التواصل؛

— تأكيد الاستعداد للتواصل

— الالتزام بكيفية معيّنة للتفاعل؛»<sup>27</sup>.

هذا يخصّ افتتاح المحادثة، ويتمّ هذا الأخير بعبارات التحية (أهلاً بك، صباح الخير، طاب يومك، ...)، أو عبارات أخرى، مثل: — هل أنت من هذه المنطقة؟ هل تريد المساعدة؟ ... الخ، المهم أنّ تلك المنطوقات تؤدي وظيفة الافتتاح، إذ ليس من اللائق الدخول في الموضوع دون مدخل.

ويلي الافتتاح موضوع المحادثة، هذا الأخير موجود بين افتتاح المحادثة واختتامها، إلاّ أنّه من الصعب وضع حدود فاصلة بين مراحل المحادثة. والمهم أنّ لكلّ محدث خطة نفعية محددة يعتمدها في بلوغ هدفه، فيعتمد استراتيجيات يجذب بواسطتها الشركاء في الحديث إلى موضوع حديثه، فيبدأ حديثه بالتحية أو الحديث عن أحوال الطقس، أو الاستفسار عن الأسرة، أو الصحة، ... الخ، ليصل إلى موضوع الرئيس، والذي يشكل مضمون الحديث ووظيفته النفعية.

يأتي بعد الموضوع الاختتام، هذا الأخير يكون بصيغ مختلفة، إمّا بالتحية أو استعمال عبارات مثل: هكذا إذن، عندي موعد الآن، نلتقي ثانية، ...، أو إبداء الرغبة في إنهاء الحديث؛ كالنظر إلى الساعة، أو إحداث حركات تدل على العجلة... الخ.

فالبنية العليا، إذن، تكمن في الشكل أو الهيكل التي ينتظم وفقها الحديث، إذ كل حديث، في الغالب، ينتظم ليتحدد ما ينبغي أن يُقال في البداية وما يلي لاحقاً وكيف يُختتم الحديث، وتتدخل العوامل الإدراكية والاجتماعية من أجل تنظيم هيكله المحادثة.

أمّا البنية الكبرى فهي تكمن في ذلك الترابط الأفقي المتبادل للمنطوقات والأفعال الكلامية وموضوع المحادثة، وتساعد البنية الكبرى على تفسير ما يسمى بالخواص النصية (أدوات الربط النحوي والمعجمي، والجمل المحورية...).

ولتحديد وحدات البنية للمحادثة وللنصوص أيضاً، ينبغي النظر إلى الموضوع إذ يذهب "فيهقجر"<sup>28</sup> بخصوص مسألة الموضوع، إلى أنه ينبغي وجود فرضية منهجية ذات أولوية لتعريف مفهوم الموضوع تعريفاً دقيقاً، وذلك للإجابة عن بعض أسئلة مهمة بالنسبة لمحلّ المحادثات، وذلك من قِبَل: هل للمحادثة موضوع واحد أم أنّ ذلك مجرد حال خاصة؟ وحين يكون للمحادثات موضوعات عدة يجب أن تُوضح إذا ما كان يمكن أن تصنف تحت موضوع معقد أو لا يربط بينها إلاّ رابط. هل توجد في بنية المحادثة خواص لغوية تدل على وحدة موضوعية أو مؤشرات يمكن أن تعطي بوضوح حدود موضوعية؟ هل يتفاعل البناء الدلالي – الموضوعي للوحدة مع مبادئ أخرى لتكوين البنية؟... الخ.

المهم أنّ محلّ المحادثة يصف البنية الدلالية لمنطوقات الحديث بالتركيز على القواعد الكبرى، وغالباً ما لا يُخطط للبنية الكبرى في الأحاديث اليومية، إلاّ أنه توجد في الغالب قوالب الحديث التي تعودّ عليها المتحدثون (كأحوال الطقس، الصحة، الأسرة...).

**ب – البنية الصغرى للمحادثة:** يركز التحليل، على مستوى البنية الصغرى على المنطوقات المنفردة وعلاقتها (أي بالمنطوقات والأفعال الكلامية الخاصة بالمحادثة وبكيفية تنظيمها).

ويذهب فان دايك<sup>29</sup> إلى أنّ السلاسل سواء على مستوى النص أو المحادثة ليست اعتباطية، بل هناك قواعد إستراتيجية عرفية تحدد نظامها، ويركز دايك هنا على مصطلح الدور (التناوب) من أجل وصف المحادثة، حيث يتبادل المشاركون في التفاعل أدوارهم. وتُطلق لفظة (الدور) على الوحدة التركيبية التي يساهم بها المتحدث أثناء التفاعل، يعني أنّ الدور بهذا المفهوم هو حدث ينجزه متكلم لغة في التواصل الفعلي. ومنه، فإنّ الدور يشكل وحدة المحادثة، وهو إسهام متحدث ما في حديث، أو هو فعل كلامي.

ويصف دايك المحادثة على أنّها تتابع أحداث لغوية وأحداث أخرى مهمة للتواصل، ويرى أنّ المحلل بحاجة إلى قواعد تركيبية توضح تنظيم أدوار وقواعد مورفولوجية، وخواص الأدوار، وإلى قواعد دلالية لتحديد الأبنية الدلالية التي يمكن أن تلحق بهذه الأدوار.

ويربط فان دايك أبنية الدور بتتابع منطوقات متكلمين متتاليين، فيرى إمكانية وصف تتابع سلاسل الأدوار من خلال مصطلحات تتابع سلاسل المنطوقات، منه يمكن وصف تأليف المنطوقات في نصوص حوارية على مستوى صرفي – تركيبى ودلالي وتداولي. فمنطوقات تلك الأدوار تفي، على المستوى السطحي للأحاديث، بالقواعد النحوية على مستوى الجملة. وقد يحدث أن يُقاطع المتحدث في وسط الجملة من المتحدث التالي، فهنا يمكن الحديث عن منطوقات متجزئة، وليست شبه نحوية، لأنّ نقل الأدوار إلى تتابع المنطوق، حسب دايك، ليس بحاجة لأن يحدّد بحدود الجملة، وهذا هو حال الحديث. ويرجع المؤلف البداية الخاطئة والتصحيح وتكرير الكلمات والأخطاء عند الكلام... الخ، إلى عوامل عارضة عند التحدّث، وهي عوامل إدراكية واجتماعية وليست نحوية، لكن قد يكون لهذه الأخطاء والتردد والتصحيح ... وظائف مهمة. أما الخواص الدلالية والتداولية فهي

الأكثر أهمية في المحادثات، لأنّ الأمر يدور أساسا في الحديث حول المعنى ووظيفة التفاعل التواصلي، والتفاهم بين المتحدثين.

فرغم أهمية القواعد النحوية، فإنّ العلاقات الدلالية والتداولية أيضا ذات أدوار مهمة في المنطوقات، حيث ينتظم التتابع والأدوار من خلال القيود الدلالية والتداولية، وعليه، ينبغي أن تكون هذه الأدوار متماسكة أفقيا من خلال الربط الداخلي والعلاقات الإحالية... الخ، باعتبار أنّ هذه الأدوار أفعال كلامية متتالية يجب أن تتحقق الإحالة بين فعل كلامي وآخر، كما أنّ الفعل الكلامي هو شرط لمكوّن، أو نتيجة لفعل كلامي آخر، وتسمى ثنائيات الفعل الكلامي التي تترابط ثنائيا بثنائيات متجاوزة. (كسؤال/ جواب، تحية /ردّ التحية، تهنئة/شكر عرض/رفض،...).

وتساهم الحركات وتعابير الوجه والاتصال المرئي بصفة عامة، إلى جانب أفعال الكلام، في تفسير والتوجيه الصحيح لتلك الأفعال في التفاعل التواصلي. والأمر في المحادثة لا يتعلق بفهم المنطوقات فحسب، بل فهم وظائفها في الحديث من أجل فهم مقاصد المتكلم، والتفسير التداولي للمنطوقات.

إلى جانب التفسير التداولي للمنطوقات، لا يمكن إغفال أيضا أثر البنية الاجتماعية في ترابط الحديث، إذ يؤثر المتحدّث بناءً على دوره أو وضعه أو سلطته على مجرى الحديث، وترتبط الأحاديث بالإطار الاجتماعي الذي تجري فيه. ويذهب فان دايك في هذا الصدد<sup>30</sup> إلى أنّه يمكن للحديث أن يقع في مواقف اجتماعية مختلفة كثيرة، ولكنه يتأثر بشكل غير مباشر بإطار المعنى.

**الخاتمة:** يعتبر مفهوم المحادثة وخصوصياتها ومكوناتها وبنيتها عناصر مهمة وأساسية في تحليل المحادثات، وهذا الاتجاه الجديد قد وجّه اهتماما خاصا لما أهملته لغويات النص، وهي اللغة المنطوقة والجانب التفاعلي للمنطوقات، والأدوار التي يقوم بها المشاركون في الحديث، خاصة أنّ المحادثات لا تضبطها قيود لغوية

فحسب، بل تحكمها ضوابط تداولية واجتماعية، وهذا ما يسعى تحليل المحادثات إلي الكشف عنه، وذلك بالتركيز على عملية تبادل الأدوار أثناء الحديث، وعلى الحدث الخطابي، والكشف عن الكيفية التي تترابط بها الأفعال الكلامية المتجاورة ويحكم بعضها البعض، ووظائف الأفعال الحجاجية والإنجازية.

### الهوامش

1- Siouffi G., Van Raemdonk D., 100 fiche pour la linguistique, Edition Bréal Paris : 1999. p69.

2 — جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص - دراسة لسانية نصية — ط1، النادي الأدبي بالرياض، 2009، ص 88.

3 — قولفانج هاينه مان ديتر فيهقجر، مدخل إلى علم لغة النص، ترجمة: سعيد حسن بحري ط1، مكتبة زهراء الشرق. القاهرة: 2004. ص215.

4 - Christian Baylon et Xavier Mignot, La communication, 2eme édition, Edition Nathan, France, 1994. P : 194, 195.

5 - Moeschler, J., argumentation et conversation (élément pour une analyse pragmatique du discours), HTIER-CREDIF, Paris : 1985.

6 — تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متعدد الاختصاصات)، ترجمة: سعيد حسن بحيري ط1، دار القاهرة للكتاب. القاهرة: 2001. ص 345.

7 — دومينيك مونقانو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، ط1 منشورات الاختلاف. الجزائر: 2005. ص29.

8 — تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متعدد الاختصاصات)، ص 344.

9 — قولفانج هاينه فيهقجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 217.

10 — المرجع نفسه، ص217، 218. بتصرف.

11 — تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متعدد الاختصاصات)، ص 396.

12 — المرجع نفسه، ص374، 375. بتصرف.

13 — المرجع نفسه، ص375، 377. بتصرف.

- \* — عنوانه: Peter Lang ; l'articulation du discours en français Francfort,  
 - Christian Baylon et communication, p195. نقلا عن: contemporain, Bern  
 Xavier Mignot, La  
 \*\* وذلك في كتابه: Théorie pragmatique et pragmatique conversationnel, Armand  
 colin, Paris : 1996. p177 .
- 14 - Kerbrat — Orecchioni, C., la conversation, édition de Seuil, Paris : 1996. p36.  
 15 - Ibid, p36.  
 16 - Ibid, p36.  
 17 - Moeschler, J., argumentation et conversation, p 81.  
 18 - نجد تفاصيل ذلك عند: Moeschler, J., argumentation et conversation, p82, 87  
 19 - Kerbrat — Orecchioni, C., la conversation, p37, 38.  
 20 - Moeschler, J., argumentation et conversation, p81.  
 21 - Kerbrat — Orecchioni, C., la conversation, p38.  
 22 - Moeschler, J., argumentation et conversation, p81.  
 23 - Ibid, p81.  
 24 - Siouffi G., Van Raemdonk D., 100 fiche pour la linguistique, p69.  
 25 - Ibid, p69.  
 26 — تون آ. فان دايك، بنى ووظائف (مدخل أولي إلى علم النص)، ترجمة منذر عياشي، ضمن:  
 العلاماتية وعلم النص (نصوص مترجمة)، ط1، المركز الثقافي العربي. المغرب: 2004.  
 ص165، 166.  
 27 — قولفجانج هاينه فيهتجر، مدخل إلى علم لغة النص، ص 224.  
 28 — المرجع نفسه، ص 226.  
 29 — تون آ. فان دايك، علم النص (محل متعدد الاختصاصات)، ص 281، 292. بتصرف.  
 30 — المرجع نفسه، ص 395.